من كلمات ندوة جيش التحرير الفلسطيني (دمشق) في ذكرى الأربعين

1980/4/5

محمد رشدي الخياط

أيها السادة:

لقد قضي على العرب في حياتهم الحديثة أن يعيشوا في دوامات من الآلام، ففي كل حفل نقف دقيقة صمت حداداً: أسفاً: حزناً على أرواح الشهداء، يا رب... يا سواعد الشباب... يا حكمة الشيوخ... يا أمة العرب... متى يأتي اليوم الذي نقف فيه دقيقة نصر على فرح على نصر نلناه؟ على حق انتزعناه؟، على أرض استرجعناها؟ على وحدة أقمناها ولم نفرط فيها؟ وعلى رجل وهبنا الله إياه، فعضضنا عليه بالنواجذ، رضينا به وآزرناه بخيره وشره، بحسناته وبسيئاته، مما أصاب في أعمال قام بها، وبما أخطأ في أعمال؟.

أيها السادة من هو أحمد الشقيري؟

لقد كان الفيلسوف اليوناني (ديوجين) يحمل مصباحه في وضح النهار ويسير في الشوارع يفتش في زوايا عن شيء، وحين كنوا يسألونه عما يفتش كان يجيب (إني أبحث عن الرجل).

وكان الزعيم الراحل جمال عبد الناصر حين يخطب في الجنود والشباب يخاطبهم بقوله أيها الرجال. وكان يهزني هذا النداء، لأنه يعني الكثير... الرجل... نعم بكل ما تحويه هذه الكلمة من معانٍ: فكرية: وخلقية: وسلوكية.

الرجل.. نعم... الرجل في شخصيته حين تنظر إليه يقتحم عليك عينيك فيملؤها، وحين تسمع منه يأخذ عليك مسامعك، حين تدعوه يكون في مقدمة الملبّين... وحين يكون الحافز الذاتي نابعاً من الأعماق، يندفع الرجل غير مبالٍ بالأخطار وغير راضٍ إلا لخالقه حكماً.

أيها السادة:

بكلمة موجزة: لقد كان أحمد الشقيري رجلاً.. عمل.. أصاب وأخطأ.. ومن لا يعمل لا يخطئ.. ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها، كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه، كان الفقيد قريباً مني.. بعيداً عني.. هو ابن مدينتي عكا.. هو ابن الشاطئ الغربي الممتد أمام بيت والده.. ولم أعرفه في يفاعته لأنه يزيدني بعشر سنين عمراً.

وأول ما عرفته في بيروت وهو طالب في الجامعة الأميركية، وأنا طالب في الكلية الإسلامية... التقينا في ذكرى شهداء السادس من أيار.. شباب عربي متفتح، وظهر أحمد آنذاك خطيباً مفوهاً... ثائراً تخرج الكلمات من فمه قنابل.. وقبض عليه ليسجن ويرحل فلا يعود للجامعة.

عرفته بعد ذلك طالباً في مدرسة الحقوق في القدس.. يتم تعليمه ويكتب في بعض الصحف.

عرفته حين تخرج وذهبت في صحبة أخي وأخيه الأستاذ محمد رفيق اللبابيدي نهنئه فإذا المكتب يكاد يكون خاوياً إلا من أحمد.. المربوع القامة، المكتنز الجسم، الثابت الخطوة، تحس أنه يضرب الأرض بقدميه يبغي إلى ما في الحضيض سبيلاً.. كما قال المتنبي في وصفه للعظمة...

عرفته جاري (حيط بحيط) كما يقولون.. نلتقي صباح مساء في تحية عابرة.. بعد أن استقل في حياته وتزوج.

عرفته على بعض منابر عكا.. في المولد النبوي الشريف حين كانت المدينة ملتقى المهرجانات الوطنية.. وانتقلت هذه المهرجانات بعد ذلك إلى حيفا عندما بدأ اليهود يسيطرون على المدينة عدداً، وقوة مال، وقدرة تنظيم.

عرفته في المعتقلات في ثورة 1936 شمالي عكا، وكان في صحبة العديد من الرجال.. وكان شديد القرب إلى والدي يأنسان لبعضهما.. وجد أبي فيه: عزيمة الشباب، وشدة البأس، واللسان الكتوم المؤتمن على السر كما كان يقول لي أبي... وعرف هو في أبي: حنكة الشيوخ، وإصرار العزيمة.

وأشهد أنك يا فقيدنا كنت الرجل بحق، الرجل في سيرك النضالي وفي حنكتك السياسية، وفي صلاتك التي امتدت من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب... باحثاً نواحي العمل الإيجابي، مدارياً ظروفاً وطنية وظروفاً عربية، وظروفاً دولية.

كنت سيداً من سادات المنابر في المشرق وفي المغرب.. في مؤتمرات العرب وفي ندوات هيئة الأمم.

وإذا كانت العاطفة تهزك أحياناً فتخرجك من هدوئك واتزانك لتقول ما كان من الأفضل ألا يقال في مواقف معينة، فحسبك أنك أخلصت واجتهدت، فأصبت كثيراً، وأخطأت قليلاً.

أيها السادة:

أشهد أني لم أقل في الفقيد ما يجب أن يقال...

وأشهد أني لم أجامل فيما قلت..

وأشهد أني وقد انتقل الصديق إلى الرفيق الأعلى، وارتفعت من النفوس: الأنانيات: وذابت مواقف الصراع والمنافسة، أشهد أن فقيدنا كان رجلاً.. رجلاً بدأ من الصفر، لم يعتمد على زعامة أبيه وجاهه.. وإنما بنى حياته ومجده بذراعيه، معتمداً على نفسه، مؤمناً بقضية أرضه ووطنه.. رجل عمل.. وعمل.. وعمل.. فعرف لذة العلو والارتفاع.. وشعر بأثر الهزيمة والانكفاء.. ولكنه في

الحالتين كان رجلاً.. رجلاً.. إذا طالعك وأنت مقدم عليه.. أشعرك_ بقوة شخصيته وابتسامته الساحرة: أنك أنت الشخصية الأولى.. ليسير بك فيما بعد في دهاليز ما يريد... فيحتويك، وتخضع لما يقول.

كان رجلاً في اعتلائه المنابر، في قوة حجة، وجهارة صوت، وهدير حياة، وتدافع كلمات.. تنطلق كالصواريخ من قمة متدافعة.. مسرعة.

كان رحمة الله عليه خطيب الجماهير الأول..

رجلاً.. في دهاليز السياسة والمرونة...

رجلاً... وصل إلى أن يكون المستشار الكبير لقضية فلسطين، وإني أتمنى أن، يكون الجيل الصاعد قد استرشد ببعض خبراته ومعلوماته.

رجلاً... جمع القضية العربية في عقله، وعمل لكل قضايا العرب كما عمل لأرض فلسطين، وكان عمله لسورية الحبيبة مضاعفاً بل أكثر من مضاعف، عمل لها في جامعة الدول العربية، وعمل لها في هيئة الأمم.. أحبها وأحبته ولا غرابة في هذا فقطرنا العربي السوري كان دواماً سباقاً لتكريم العاملين للعروبة وللوحدة.. وكانت صلاته برجال سورية العروبة متينة.

وبعد وفاته صح فيه ما كان يردده في خلواته..(ولكن حمزة لا بواكي له).

وهذا قول للرسول الكريم عليه السلام، قاله بعد معركة أحد، وقد رأى النساء يبكين موتاهن فيما عدا حمزة لم تبكه امرأة فقال: (لكن حمزة لا بواكي له).

رحمك الله أبا مازن، كنت تقول هذا في شعبك، في أرضك، في وطنك، الذي لم يبكه الأقربون، كما لم يحزن على فقده الأبعدون.

وكأنك كنت تنظر بعين الغيب.. وقد وقفت شطراً من نضالك على القضايا العربية... لأنك كنت تؤمن بأن فلسطين في عروبتها، ولا عروبة بدون فلسطين، وعندما التحقت بالرفيق الأعلى ضن عليك الأقربون بوقفة وداع والوداع الأخير.. فلم يمشِ في وداعك مسؤول عربي.

لم تكن وحدك أبا مازن من يلقى هذا من الأقربين، هناك شعبك كله، الذي حق فيه قول الرسول الكريم: (ولكن حمزة لا بواكي له).. نعم.. ولكن فلسطين لا بواكي لها، ومع هذا فأنت ونحن... عرب: عرب فلسطينيون: نعيش من أجل العروبة... ومن أجل فلسطين.. منا الفدائيون... منا الشهداء.. منا المشردون في الخيام... منا المرابطون الصامدون... منا المحرومون... منا المسجونون وإن كانوا يسيرون في سجون واسعة لا سقوف لها.. منا المكبلون بحيث تسد في وجوههم الحياة.

أهلوك يا أبا مازن يخشاهم الأقربون كما يخشاهم الأبعدون، ومع كل هذا فنحن للعروبة.. نحن لفلسطين.. نحن للعذاب.. وللاستشهاد.

أيها السادة:

كان أحمد الشقيري رجلاً أحبه الكثيرون، وأبغضه الكثيرون، وسيحكم التاريخ على من أصاب من محبيه، وعلى من أخطأ من مبغضيه، رجلاً ستظل بصماته عميقة على القضية، بقوته وبضعفه، بشخصيته وبإنسانيته ونبضاته.

رحمك الله أبا مازن... آمنت بالنصر حياً، وآمنت بالنصر ميتاً.. عملت لأرضك فأردت أن تدفن في أقرب بقعة إليها، لأن يوم النصر آت، وعندئذ تنقل رفاتك إلى أرض الوطن، لتستقر هانئة.

فليت الأحياء يذكرون الأموات فيحسنون إلى ذكراهم.

لعل الأحياء يذكرون وصايا الأموات...

رحمك الله أبا مازن، عشت رجلاً: ومت رجلاً والرجال قليلون...

والمستقبل لنا بإذن الله وبإرادتنا.. والسلام عليكم...